البرفسورة أييلِت بن-يشاي، جامعة حيفا،" نعم باسمي"، 11.9.2025

مقدمة

مرحبًا بالجميع. أهلًا بكم في الاجتماع الختامي للأسبوع الثالث عشر من" أعين على غزة ."عندما بدأنا نعقد اللقاءات اليومية أثناء حرب إسرائيل مع إيران، فعلنا ذلك بدافع الإحساس بالإلحاح، ووعيًا بضرورة إبقاء أنظارنا مركزة على الفظائع الجارية في غزة. منذ ذلك الحين واصلنا النظر مباشرةً إلى الأمام. ولكن من أين ننظر؟ أين موقعنا كمشاهدين، بما في ذلك أولئك منا الذين يعارضون ما يتكشف أمامنا؟ كثيرًا ما يكون موقع نظرتنا هو الرفض. أن ننظر يعني أن نقاوم، أن نعلن أنّ هذه الفظائع لا تُرتكب باسمنا. ومع ذلك، إلى حد كبير نحن جميعًا متورطون، شركاء في الدمار المستمر. كيف يؤثر هذا الواقع — كيف يؤثر موقع نظرتنا ذاته، وكذلك قدرتنا على توجيه نظرتنا نحو النظرة نفسها — على قدرتنا على الفعل، على الإخلال، على الرفض؟ اليوم نستضيف الأستاذة أييلت بن-يشاي، التي جعلت" أعين على غزة "ما هو عليه، والتي يجسّد عملها الأكاديمي والنشاطي الصلة الكامنة بين الفكر والفعل. أييلت أستاذة الأدب الإنجليزي في جامعة حيفا، ونحن محظوظون أن تكون زميلتنا وصديقتنا. أبحاثها تقع عند تقاطع الأدب، القانون، الثقافة والتاريخ. هذه الأيام تعمل على المعاني السياسية لكون المرء منخرطًا قسريًا أو متواطئًا — مسألة "التواطؤ ."ستتحدث أييلت عن هذا السؤال اليوم. نشكرها كثيرًا ونتطلع إلى الاستماع لها.

الكلمة

شكرًا، ليئور وعيدو. شكرًا لكل من هنا اليوم ولكل من اعتاد أن يأتي. سأجعل شكري قصيرًا، لأن لديّ، كالمعتاد، الكثير من الكلمات. لذا سأبدأ مباشرةً. أريد فقط أن أعرض صورة واحدة، ثم نواصل. في المظاهرة الكبرى في سخنين، قبل شهر ونصف تقريبًا، التقطتُ صورة لامرأة فلسطينية تحمل لافتة كتب عليها وأمرت" :الصمت تواطؤ – تكلم من أجل غزة "!إلى حد ما يبدو لي أننا جميعًا هنا بسبب ذلك الأمر. نحن هنا لنكسر غيمة الصمت الثقيلة فوق ما يُفعل باسمنا وبأيدينا في غزة. غيمة تخيّم فوق إعلامنا، مجتمعنا، جامعاتنا، أنظمتنا الصحية والقانونية، وأيضًا فوق مظاهراتنا ومعارضتنا للحكومة. تحدثنا كثيرًا هنا في "أعين على غزة "عن الصمت. اليوم أريد أن أركز تحديدًا على سؤال التواطؤ، وهو مصطلح لا ترجمة له إلى العبرية لكننا نسمعه أكثر فأكثر. كلمة "complicity"تأتي من اللاتينية *complicare*، أي أن تكون مطويًا مع. أي أنها تشير إلى حالة لسنا فيها بالضرورة نرتكب خطأً بأنفسنا أو بشكل فعّال، قصدي، لكننا متشابكون في ذلك الخطأ عبر شراكة بنيوية، عبر عضويتنا في جماعة ما.

نحن متواطئون في مظالم مختلفة كمواطنين في دولة، كممولين بالضرائب، كمستخدمين لموارد الأرض المستنزفة، كحاملي امتيازات، أو حتى كمستفيدين من مظالم سابقة. على سبيل المثال، هل أنا متواطئ إذا ورثتُ شقة اشتراها أو أُعطيت لجدي بعد طرد أو سلب آخرين؟ هل جامعتي نمت وازدهرت بأموال ملاك عبيد أو تجار عبيد؟ هذا سؤال تواجهه العديد من الجامعات في الولايات المتحدة وبريطانيا؛ أو ببساطة: هل كنتُ محظوظًا أن أكون في الجانب الثري من الرأسمالية؟ ظاهريًا، خطاب التواطؤ مهم، لأنه — كما تقترح اللافتة التي عرضتها — يدفعنا إلى الفعل. لكي أنأى بنفسي عن تواطئي عليّ أن أعمل، أن أتكلم، أن أُظهر، أن أتحرر وأقطع الصلة. هكذا مثلًا، منظمات يهودية أمريكية مختلفة تنادي بـ "ليس باسمي"، تسعى إلى قطع الطريقة التي "تطويهم "بها دولة إسرائيل في أفعالها من احتلال، وتجريد، وجرائم حرب، بينما تزعم أنها تعمل باسم اليهودية أو اليهود في العالم، أو ضد معاداة السامية، حقيقية كانت أم مصطنعة. الأمر ذاته ينطبق على الذين يتركون إسرائيل لأنهم يرفضون أن يكونوا جزءًا من تلك الأخطاء، وعلى الذين يعلنون" :أنا لست حكومتي"، وهي عبارة لاقت رواجًا مؤخرًا على فيسبوك.

المشكلة، بالطبع، أن من يغادر إسرائيل قد يُطهّر ضميره، لكنه لا يحل الظلم. سكان غزة يستمرون في أن يُقتلوا ويُجَوَّعوا بمعدل لا يُعقل، حتى لو قلتُ" :أنا لست حكومتي ".الرهائن، إسرائيليون وفلسطينيون على حد سواء، ما زالوا يتعفنون في الأنفاق والزنازين، والتطهير العرقي في قطاع غزة والضفة الغربية يستمر في التسارع. مشكلة أخرى في خطاب التواطؤ هي أنه بسرعة كبيرة يصبح خطاب نقاء أخلاقي. في هذا المنظور يُقسَّم العالم إلى قسمين: أولئك المتواطئون وهم السيئون، وأولئك غير المتواطئين وهم الجيدون — أولئك "الذين يقفون في الجانب الصحيح من التاريخ"، كما نقول. هذا الخطاب ينشغل بالمكانة الأخلاقية للفاعلين أكثر مما ينشغل بالظلم نفسه — أي، بإيقاف الإبادة الجماعية.

ما أقترحه بدلًا من ذلك هو أن نتناول مشكلة التواطؤ كسؤال سياسي" — ماذا يجب أن أفعل؟ — "لا كسؤال أخلاقي" — هل أنا من الجيدين أم من السيئين؟ "مثلًا، أميل إلى القول إنه كإسرائيلية وُلدتُ في الجانب الخطأ من التاريخ، ويبدو أنني سأموت أيضًا في ذلك الجانب الخطأ. هذه هي الأوراق التي وُزعت عليّ، وهذه الأوراق منحتني أيضًا امتيازات كبيرة. بعد أن انتهيتُ من الاكتئاب بشأن كوني في الجانب الخطأ من التاريخ، يظهر السؤال السياسي المهم حقًا: بما أنني محكومة أن أعيش حياتي كلها في الجانب الخطأ، ماذا أفعل بكل هذه السنوات، بكل هذه الحياة في الجانب الخطأ؟ وبما أنني هنا اليوم، يمكنكم أن تفهموا أن جوابي ليس عدميًا. أي أنني لا أعتقد أنه إذا كنا جميعًا متواطئين، فلا شيء يمكن فعله وانتهى الأمر. من ناحية أخرى، لا أريد أيضًا أن أُدخل فينا جميعًا شعورًا بالذنب المشل. على العكس، أقول إن صعوبة التواطؤ — أنه متشابك ولا يمكن فكه — هي أيضًا نقطة قوته. أحاول أن أستخدم تواطئي في بحثي ونشاطي كأداة سياسية، كمفتاح لفهم كيف وأين أستطيع أن أعمل لتقليل المظالم التي أنا متشابكة فيها، وليس من أجل أن أُخرج نفسي من مسؤوليتنا المشتركة عن الخطأ.

هذا يتطلب ملاحظة وتعلم، "البقاء مع المشكلة"، كما تقول دونا هاراواي. البقاء مع الأشياء الأصعب، تلك الأشياء التي لا يمكننا حلها أو محوها. بدلًا من الهروب منها، أو قمعها، يجب أن نوجّه نظرتنا إليها — مرحبًا "أعين على غزة — !"ونتعلم كيف تعمل، لا كشيء خارجنا، بل تحديدًا كشيء نحن متشابكون فيه. أعتقد أن الطريقة التي نحن متشابكون بها تحتوي في داخلها على الطرق التي يمكننا أن نعمل بها. أعتقد أن هذا أفضل طريق لزيادة الخير والعدالة في العالم. وأعتقد أنه من المهم زيادة الخير والعدالة في

العالم، أو على الأقل تقليل الظلم بقدر ما نستطيع.
أريد أن أنهي بمثالين، أو برؤيتين. كأعضاء هيئة تدريس، نحن أيضًا متواطئون في أخطاء الجامعة. مثل الدولة، تمارس الجامعة قدرًا هائلًا من القوة والعنف لإبقائنا في حالة دائمة من الصدمة، من الصدمة النفسية، من العجز والحزن العميق — نحن بارعون جدًا في الحزن العميق. نحاول أن ننجو ونحمي أنفسنا وما نعتز به، وهكذا نخضع، دون أن نعلم أو نرغب، لواقع يبدو لا مفر منه. لقد أصبحنا بارعين في تحديد الطرق التي "ضاع فيها كل شيء"، الطرق التي نحن عاجزون فيها. لكن في الواقع، لدينا قوة. المجتمع الإسرائيلي يضع امتيازًا ضخمًا في أيدينا، أو على الأقل في أيدي بعضنا: الدرجات الأكاديمية (التثبيت الوظيفي). إذا استخدمناها فقط لحفظ قوتنا ومكانتنا الشخصية، فإننا، مثل النظام القضائي أمام جرائم الحرب، نخطئ بحق أولئك الذين منحونا تلك المكانة لنقول الحقيقة بلا خوف. لذلك، علينا أن نستخدم مكانتنا لنتحدى الخطاب الضيق والصامت، لنُظهر من الذي يُسكت، من يُهمش، ما ومَن يُجرَّم، وما نوع المجتمع والثقافة التي يُنتجها. يجب أن نتخذ أفعالًا مرئية لنُظهر لطلابنا أننا نقف إلى جانبهم، أنهم ليسوا متروكين. قبل كل شيء، نحن ملزمون ليس فقط بتحليل الوضع القائم بل أيضًا بالإشارة إلى طرق أخرى للتفكير، وبجعل لغة التفكير البديل حاضرة في المجتمع.
تقول الفيلسوفة شارلوت نولز إنه ربما ليست لدينا مسؤولية عن كيف وصلنا إلى حالة التواطؤ، لأننا طُوينا فيها، وربما ليست لدينا أيضًا قدرة على حل الظلم، لكن لدينا مسؤولية عن قبول الوضع القائم كالإمكانية الوحيدة، وعن عدم إعداد أنفسنا فعليًا لإمكانية أن تكون الأمور مختلفة. سأختم بمثال، أهم من أي شيء الآن. نحن الإسرائيليين نتحدث باستمرار عن قدسية الحياة، لكن عمليًا نقدّس الحياة بشكل انتقائي. هي دائمًا مقسمة إلى جانبين، نحن وهم. هذا الاختيار، هذه الانتقائية حتى، تمحو إنسانيتنا وقد أوصلتنا إلى اليوم الذي فيه الحياة أرخص من أي وقت مضى. وهكذا، بشكل مأساوي، تفقد المعركة من أجل حياة رهائننا قيمتها عندما ترفض أن تشمل حياة الجميع. لأن المجتمع الذي درّب قلبه على أن يكون غليظًا أمام موت عشرات الآلاف من الغزيين يُصدم حين يكتشف أن حياة مواطنيه أيضًا أصبحت رخيصة، وأننا جميعًا أصبحنا ضحايا محتملين على مذبح العدوانية، والعسكرة، والكبرياء الوطنية، وحفظ الحكومة، وتقديس الأرض. يتضح أنه بسرعة وسهولة يمكن أن نصل إلى التضحية حتى باليهود على مذبح تفوق اليهود. لكن من الممكن أن نتخيل — وهناك من يُصر على ذلك — نضالًا لإعادة الرهائن، لإسقاط الحكومة، يضع حياة الجميع، بين النهر والبحر، جنبًا إلى جنب وعلى خشبة المسرح. الحديث عن الحياة كقيمة عُليا سهل. لكن فهم أنها ليست شعارًا فارغًا أو استسلامًا لكيتش الموت يتطلب تغييرًا عميقًا في الوعي وعملًا سياسيًا مثابرًا. من الشعار" :ليس باسمي "إلى الشعار" :نعم باسمي، ولذلك عليّ أن أقاوم ".آمل أننا نطور هذا التفكير هنا في "أعين على غزة "وأن هذه هي فعلنا السياسي. إنه مهم، صعب للغاية، لكن ليس لدينا خيار آخر.
شكرًا لكم